

أضواء البيان

@ 364 دُونَ اللّٰهَ إِِنَّ أَرَادَنِيَ اللّٰهَ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ
اللّٰهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَىٰ
مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ عَذَابٌ يُخْزِيهِ
وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقْتَرِمٌ * إِنزِيلًا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِرَءِيْفٍ * اللّٰهُ يَتَوَفَّى الْاَلَامَةَ نَفْسًا حَرِيحًا
مَوْتِيهَا وَاللّٰتِي لَمْ تَكُن فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا
الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْاَلَامَةَ خَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * أَمْ اتَّخَذُواْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ شُفَعَاءَ قُلْ
أَوْلَوْ كَانُواْ لآ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلّٰهِ
الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لّٰهُ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ وَالْاَلَامَةِ رُضٌ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الّٰذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآلَامَةِ خَيْرَةً وَإِذَا ذُكِرَ الّٰذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ * قُلِ اللّٰهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْاَلَامَةِ رُضٌ عَالِمِ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ أَنّ لِّلّٰذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي الْاَلَامَةِ رُضٌ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْاْ بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ * وَبَدَا لَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * فَإِذَا
مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ
إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَآكِنّ أَكْثَرُهُمْ
يَعْلَمُونَ * قَدْ قَالَهُمَا الّٰذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا
كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَالّٰذِينَ ظَلَمُواْ
مِنْ هَآؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ *
أَوْلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّٰهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ يَا عِبَادِيَ الّٰذِينَ

أَسْرَفُوا وَعَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنْزِلُوا
إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۚ مَنِ
قَبِلَ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ
نَفْسُ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ
السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
* أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ * بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَهَا وَاسْتَكْبَرْتَ
وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا
عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مَّسْوُودَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ
* وَيُنذِرَ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ ۚ لَا يَمَسُّهُمْ
السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
وَكَرِيمٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ
تَأْمُرُونَ أَعْيُودُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى
الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتُم بِلَهِ رَبِّكُمْ لَأَلْبَسْنَاهُمْ
الْإِسْرَارَ * بَلِ اللَّهُ فَاعٍ يَدْعُو ۚ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَمَا
قَدَرُوا
اللَّهَ حَقًّا قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبِيضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
* وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا
مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ *
وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ
بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ *
قوله تعالى : { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } . قد قدمنا الآيات الموضحة له في
سورة الأنفال ، في الكلام على قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ۚ حَسْبُكَ اللَّهُ }
وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } وعلى قراءة الجمهور بكاف عبده ، بفتح العين
وسكون الباء ، بإفراد العبد ، والمراد به ، النبي صلى الله عليه وسلم . كقوله : {

وأما على قراءة حمزة والكسائي عِبَادَهُ بِكسر العين وفتح الباء بعدها ألف على أنه جمع عبد ، فالظاهر أنه يشمل عباده الصالحين من الأنبياء وأتباعهم . قوله تعالى : { وَيُخَوِّفُونَ فُؤُوكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أن الكفار عبدة الأوثان ، يخوفون النبي صلى الله عليه وسلم ، بالأوثان التي يعبدونها من دون الله ، لأنهم يقولون له : إنها ستضره وتخبله ، وهذه عادة عبدة الأوثان لعنهم الله ، يخوفون الرسل بالأوثان ويزعمون أنها ستضرهم وتصل إليهم بالسوء . .

ومعلوم أن أنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه ، لا يخافون غير الله ولا سيما الأوثان ، التي لا تسمع ولا تبصر ، ولا تضر ولا تنفع ، ولذا قال تعالى عن نبيه إبراهيم لما خوّفوه بها { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْإِلَهِ } . .

وقال عن نبيه هود وما ذكره له قومه من ذلك { إِنَّ زَيْقُولُ إِلَّا - اءْتَرَكَ - بَعْضُ الْعَالَمِينَ بِسُوءٍ قَالَ - إِنَّ زَيْقُولُ أَشْهَدُ اللَّهُ - وَاشْهَدُوا - أَنْ زَيْقُولُ بَرٌّ رءُ مِمَّا تَشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ - لَا تَنْظُرُونَ - إِنَّ زَيْقُولُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ - رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا - هُوَ - آخِذٌ بِرِصَابٍ بِهَا - إِنَّ - رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } . .

وقال تعالى في هذه السورة الكريمة ، مخاطباً نبينا صلى الله عليه وسلم ، بعد أن ذكر تخويفهم له بأصنامهم { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رَضُوا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قَوْلُ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ - إِنَّ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ - أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ - قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } . .

ومعلوم أن الخوف من تلك الأصنام من أشنع أنواع الكفر والإشراك بالله . . وقد بين جل وعلا في موضع آخر ، أن الشيطان يخوف المؤمنين أيضاً ، الذين هم أتباع الرسل من أتباعه وأوليائه من الكفار ، كما قال تعالى : { إِنَّ زَيْمًا ذَالِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْمْ وَخَافُونَ - إِنَّ كُنْتُمْ مِّمَّنْ وَؤْمِنِينَ } . . والأظهر أن قوله { يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } حذف فيه المفعول الأول ، أي يخوفكم أوليائه ، بدليل قوله بعده : { فَلَا تَخَافُوهُمْمْ وَخَافُونَ } . قوله تعالى : { قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ - إِنَّ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ

هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمَسِكَاتُ رَحْمَتِهِ } . ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن المعبودات من دونه ، لا تقدر أن تكشف ضرا ً أراد ً به أحدا ً ، أو تمسك رحمة أراد بها أحدا ً ، جاء موضحا ً في آيات كثيرة ، كقوله تعالى : { لِمَ تَعْبُدُونَ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً } وقوله تعالى : { قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ } . وقوله تعالى : { مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } وقوله تعالى { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة . قوله تعالى : { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِدَّهُ أَشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ السَّادِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَخِرَّةٍ } وقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة السَّادِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَدْبِرُونَ } . قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الصافات ، في الكلام على قوله تعالى { إِنَّ زَنْجِيراً لَهُمْ لَآ إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } . قوله تعالى : { وَلَوْ أَنَّنَا لَلذَّالِمِينَ ظَالِمُونَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ